Walter Hollstein: Kein Frieden um Israel - Zur Sozialgeschichte des Palastina - Konflikts - (Fischer)

لكتاب البروفسور فالتر هولشتاين (لا سلام حول اسرائيل : التاريخ الاجتماعي للنزاع الفلسطيني — أو العرب والتحدي الصهيوني) قصتان ، قصة تأليفه واخراجه ونشره وقصة مواده ومضمونه ، ولنبدأ بالقصة الاولى : في اواخر ١٩٦٩ عكف البروفسور فالتر هولشتاين — وهو استاذ جامعي سويسري يعمل في برلين الغربية — على وضع كتاب عن مشكلة فلسطين كنموذج لصراع اقتصادي واجتماعي بين الحركة الصهيونية وحركة الاستقلال الوطني العربية . وكان هدفه من وضع الكتاب ابراز الطابع الاستيطاني الاستغلالي في التطبيق الصهيوني وفضح الوجه الرأسمالي الامبريالي للحركة الصهيونية التي استعملت المشكلة اليهودية في اوروبا وروسيا لاقامة مجتمع عنصري شوفيني في فلسطين .

قبل الاقدام على وضع الكتاب قام المؤلف بزيارة عدد من الدول العربية من اجل جمع المعلومات والوثائق المتعلقة بالمشكلة ، وفي اثناء هذه الزيارات درس عن قرب الواقع الاجتماعي والسياسي لحركة المقاومة الفلسطينية ، وفي مكاتب الاعلام العربية الرسمية اطلع على مواقف الدول والحكومات العربية من النزاع العربي — الاسرائيلي وتجمع لديه كمية هائلة من المواد الاولية والمراجع الاصلية .

في اواخر عام ١٩٧٠ وبعد عودة المؤلف من زيارة للقاهرة وعمان وبيروت بدأ كتابة الكتاب وانتهى من تأليفه في اواخر عام ١٩٧١ ، ثم عرضه على دار فيشر الالمانية للنشر ، وهي اكبر دار نشر المانية ، وقامت لجنة من محرري الدار بتقييم الكتاب ورفعت توصية الى ادارة الدار تنصح بنشر الكتاب لاهميته العلمية وقيمته السياسية ولاحتوائه على استعراض تاريخي اجتماعي للنزاع العربي — الاسرائيلي لم يسبق تقديمه في اي كتاب صدر عن دار نشر اوروبية او امريكية ، وتم اتخاذ قرار بانزال الكتاب الى السوق قبل نهاية العام لما فيه من فائدة ادبية ومادية (الربح وضمان بيع كمية كبيرة) وقبل نهاية عام ١٩٧١ بأيام كان قد تم طبع ٢٠ الف نسخة من الكتاب اعدت للتوزيع لتكون في المكتبات قبل حلول اعياد الميلاد وراس السنة .

ولكن الكتاب لم ينزل الى السوق في ذلك العام فقد حدث ما منع توزيعه فجأة ، وتلقى المؤلف رسالة مسجلة من دار النشر تعلمه بان احد اصحاب الدار الدكتور برمان فيشر (وهو من عائلة يهودية المانية لها تاريخ عريق في عالم الطباعة والنشر) قد سبق ان اشترط ان لا تصدر الدار اي كتاب عن اسرائيل او النزاع العربي — الاسرائيلي او القضية الفلسطينية قبل ان يكون هو قد قرأه ووافق على اصداره . ولم تكن لجنة المحررين التي اشرفت على اصدار الكتاب قد فطنت الى هذا الشرط وراَت ارسال الكتاب للسيد فيشر بعد ان تمت طباعته واصبح جاهزا للتوزيع . وبسرعة اصدر السيد فيشر تعليماته بايقاف توزيع الكتاب واتلاف النسخ المطبوعة منه ريثما يقراه . وبعد ان قراه اوكل الى احد « المتخصصين في تاريخ الصهيونية والقضية الفلسطينية » مراجعته ووضع تعليقاته على محتواه وهذا المتخصص محام يهودي المانى له علاقة بدار النشر . وبعد فترة قصيرة تلقى المؤلف رسالة من لجنة المحررين تحتوي على اقتراحات الدار بشأن اعادة طباعة الكتاب في قالب ومضمون جديدين على ضوء التعليقات والاراء التي اثارها صاحب الدار والمحامي بعد مراجعة الكتاب . وكانت اهم نقاط التغيرات المطلوبة :

اولا : تغير صورة الغلاف — وكانت الصورة الاصلية تمثل فدائيا فلسطينيا يتوسط راس موشي دايان واقترح استبدالها بصورة لمجموعة من اللاجئين تسير فوق جسر اللنبي المتحطم اثناء القتال في يونيو ١٩٦٧ او صورة لبعض افراد الجيش الاسرائيلي وهم يقتحمون قرية عربية وقد استقر الراي نهائيا على صورة اللاجئين وهم يعبرون الجسر .

ثانيا : استبدال عنوان الكتاب ، فبعد ان كان العنوان « العرب والتحدي الصهيوني » اصبح في الطبعة الجديدة « لا سلم حول اسرائيل — التاريخ الاجتماعي للنزاع الفلسطيني » .

كما اصابت اقتراحات التعديل والتبديل نحو مائة راي او حادث مذكور في الكتاب وشملت اكثر الصفحات ولم تسلم منها اية فقرة من فقراته ، وبعض نقاط التعديل متعلق بدقة التواريخ وتسلسل